ظاهرة التوحيد في الديانة اللوبية القديمة

د. مفتاح محمد سعد البركي
كلية الآداب والعلوم مسلاته– جامعة المرقب– ليبيا
mmelburky@elmergib.edu.ly

الملخّص:

لعب الدين دورا مهما في حياة اللوبيين القدماء فاتجهوا للطبيعة التي كانت تمثل مصدر رزقهم وحياتهم وتشكل محيطهم، غير انهم وبالفطرة كان لديهم احساس بأن المظاهر والظواهر الطبيعية ، وكذلك الحيوانات لا تعدو أن تكون حلقة وصل بينهم وبين قوة خارقة لا يستطيعون الوصول إليها، وكان الاعتقاد السائد أن هذه القوة مقرها في السماء، ومن هنا جاءت عبادتهم للمظاهر الكونية الأكثر علوّا، فكانت الشمس والقمر هي الأكثر تقديسا، ثم جاءت الجبال في المرتبة الثانية، وكذلك الظاهر الأخرى، كم أننا نرى أن الحيوانات التي تتمتع بالخصوبة كالكبش والثور والأسد كانت هي الأخرى محل تقديس لأنهم كانوا يرونها هي من اختارتها الآلهة لتكون مقرا أرضيا لأرواحها التي ترسلها للوقوف على أحوال البشر، وتلبية احتياجاتهم، وفي بعض الأحيان لعقوبتهم إذا ما غضبت عليهم.

من هنا حاول اللوبي القديم استرضاء ذلك الإله من خلال القيام ببعض الحركات التمثيلية التي حاول فيها محاكاة ما اعتقده أرواح أرسلها الإله والتي أعتبرها الكتاب المحدثون ما أُطلق عليه مصطلح السحر، كما أنه أعتقد أن تلك الأرواح كانت تخاطبه أحيانا، وهو ما عُرف بالجن، وفي غالب الأحيان نجد أن من يخاطب تلك الأرواح هم من الكهنة ما يدل على المكانة البارزة التي تمثله تلك الأرواح في المعتقد الديني ومدى ارتباطها بإله غير مُدرك مقره في السماء.

الكلمات المفتاحية: الديانات القديمة –اللوبية– حضارات المغرب القديم

Abstract

Religion played an important role in the ancient lobbies life, So They turned to the nature , which represented the source of their livelihood , their lives and compose their environment but they naturally had a sense that the natural aspects and phenomena , as well as animals were nothing

more than a link between them and a supernatural power that they couldn't reach , and the general belief was that this force is based in the sky , Hence their worship of the highest cosmic manifestations so the sun and moon were the most sacred , then then mountains in the second place , as well as other aspects , and we see that the fertile animals such as the Ram the OX and the Lion were in the place of reverence , be Couse they were seen by the gods who chose them to be the earthly seat of it's souls , which it sends to find out about the conditions of human beings and meet their needs , and sometimes to punish them if they are angry with them. therefore , the ancient lobby tried to appease that god by making some representational movements in which he tried to simulate what he believed were the spirits sent by God , which modern writers considered what they called the term magic , and also he believed that those spirits sometimes used to talk to him which is known as the Jinn , and most of time we find that those who talk to these spirits are priests which indicates the prominent position that these spirits represent in religious belief and the extent of their connection to a perceived God whose place is in haven .

مقدمة

يمثل الدين ركناً أساسيا من أركان الحضارات الإنسانية، قديمها وحديثها، فهو يمثل الجانب الروحي لدى الإنسان، ولذلك فإن الإنسان وُلد متدينا بطبعه، ولكن اختلفت الديانات خاصة القديمة منها من شعب إلى شعب ومن منطقة إلى أخرى، وكذلك المعبودات لدى تلك الشعوب، وبخاصة أصحاب الحضارات العريقة كحضارات بلاد الرافدين، والحضارة الفرعونية والحضارة اليونانية وغيرها، غير أننا نجد أن هناك عاملا مشتركا بين تلك الحضارات في جانبها الروحي وهو الجنوح نحو الوحدانية وان اختلفت قوتها بين شعب وآخر، وتكمن أهمية الموضوع في أن الإنسان

قد وُلد موحدا وأن الرسل كانت مصاحبة لظهور الإنسان على وجه الأرض منذ نشأته استنادا إلى ما ورد في الكتاب الكريم (مِنْهُم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيكَ وَمِنْهُم مَنْ لَمْ نَقْصُصْ) صدق الله العظيم .

والإنسان اللوبي القديم كغيره من الشعوب الأخرى، كان متدينا بطبعه، وبالنظر لترامي الرقعة الجغرافية التي استوطنها اللوبيون القدماء، والتي شملت كامل منطقة المغرب القديم، فقد كان لها تأثيرها المباشر على معبوداتهم ومظاهر حياتهم الدينية، فاختلفت من منطقة إلى أخرى، ولكن هل عبد اللوبيون إلها واحداً؟ أم كانت لهم آلهة متعددة؟ وهل كانت تلك الآلهة معبودة في حد ذاتها؟ أم أنها مجرد رموز لإله أعظم تجلّى في بعض مظاهر الطبيعة التي أتخذ منها اللوبيون القدماء قبلة لعباداتهم؟ ثم ماذا تعني الأرواح التي تعاملوا معها؟ هل كان لديهم ما نعرفه اليوم باسم الجن؟ وما هو السحر، وما علاقته بالدين في العصور القديمة، وفي فكر اللوبيين القدماء؟ هذه الأسئلة وغيرها هي ما سيحاول الباحث الإجابة عليها في هذه الورقة المتواضعة لمحاولة الوصول إلى ما إذا كان الإنسان اللوبي القديم قد ظهرت لديه فكرة التوحيد في ديانته القديمة، مستخدما الأسلوب التحليلي لبعض الممارسات التي كان يقوم بها الإنسان اللوبي القديم في ممارسته لشعائره الدينية تجاه محيطه البيئي.

تمهيد:

تواجه الباحث صعوبات جمة في دراسة تاريخ اللوبيين القدماء ، خاصة الجوانب الحضارية منه وعلى الأخص الجوانب الفكرية، وذلك مردّه لعدم ظهور حضارة قوية في المنطقة، كالحضارة الفرعونية وحضارات بلاد الرافدين، تلك الحضارات التي فرضت نفسها كأقدم حضارات البشرية، وربما ذلك عائد لعدم وجود مصادر المياه الدائمة بمنطقة المغرب القديم، كالأودية دائمة الجريان والتي من شأنها جلب السكان والمساعدة على الاستقرار الدائم، الذي يعتبر أساسا لنشوء الحضارات وقيامها، فعاش اللوبيون القدماء على هيئة جماعات صغيرة منفصلة تتنقل بين الأودية والواحات والعيون"[1] فأقامت مراكز حضارية صغيرة هنا وهناك، هذه المراكز لها جوانبها الحضارية، وحيث أن الدين يمثل ركنا أساسيا في حياة الإنسان منذ النشأة فهو شعور يولد مع الإنسان نتج عن عجزه عن تفسير بعض الظواهر المحيطة به، والشعور بالخوف منها، وبذلك وجد نفسه مضطرا للخضوع لها واحترامها لأنها تحيط به وتؤثر فيه"[2]، فقد كان للوبيين ديانتهم الخاصة التي صاحبت نشأتهم في مراكزهم المتناثرة.

لم تستطع الديانة اللوبية القديمة أن تحتفظ بخصوصيتها وأن تصمد أمام متغيرات الزمن، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان لتوارد حضارات أخرى غريبة عن المنطقة، وفرض سيطرتها عليها كالحضارة الفينيقية الآتية من الشرق والتي عُرفت فيما بعد بالحضارة القرطاجية، ومن بعدها الحضارة الرومانية التي استعمرت المنطقة ردحا من الزمن، أثره الأكبر في طمس بعض مظاهر حضارة اللوبيين القدماء، إذ شكلت تلك الحضارات العنصر الأقوى في المنطقة، وفرضت نمطها وأسلوبها على السكان المحليين الذين أصبحوا تابعين لتلك الحضارات في كل شيء، حتى في العادات والتقاليد، من هنا اصطبغ اللوبيون بصبغة القادمين الجدد، فلم يظهر تأثيرهم القوي والمباشر في تلك الحضارات ، وبخاصة الرومان والإغريق، هذا فضلا عن عدم اهتمام الباحثين في تاريخ المغرب القديم بتاريخ المنطقة قبل قدوم الفينيقيين إلى المنطقة، وربما ذلك عائد لقلة المختصين المحليين وتركيز الأوربيين على ما قدمته الحضارات الأخرى استنادا على المصادر القديمة التي كُتبت بأيدي الكتاب الإغريق والرومان، وبخاصة أن مثل تلك الدراسات تحتاج إلى بحث وتدقيق ومقارنات واستنتاج. كل ذلك أسهم مساهمة فعّالة في طمس الكثير من الجوانب الحضارية للوبيين القدماء، أو على الأقل عدم نيلها حقها من الدراسة والتمحيص.

وتعتبر دراسة الحياة الدينية لدى سكان المغرب القديم من الصعوبة بمكان، والوصول فيها إلى نتائج قاطعة يكاد يكون شاقا في الظروف الحالية لكنه ليس مستحيلا، لأنها طغت عليها الديانات الوافدة وامتزجت بها في ظل سيطرة القادمين الجدد، ولكن ذلك لا يعني اندثارها بالكامل فقد ترك لنا اللوبيون القدماء خيوطا وان كانت رفيعة يمكن تتبعها للوصول إلى نتائج جيدة في هذا المجال.

تعريف الدين:

ليس من السهل علينا وضع تعريف محدد لهذا المصطلح الذي تناوله الكثير من المختصين وافردوا له المساحات الشاسعة من الكتب وتقاذفته الأفكار على مر العصور، فوضعوا له التعريفات اللغوية والاصطلاحية، كل حسب رؤاه وثقافته وبيئته، وربما ذلك راجع لملامسته الشعور الإنساني الذي نجد انه من الصعب علينا توحيده بين إنسان وأخر، وكذلك لتعدد الأديان وكثرتها، وخصوصية كل منها من حيث الشعور والتعبد"[3]، فوضعوا له تعريفات تباينت بين اللفظ والاصطلاح، فالدين بالكسر عرّفه البعض لغة "بأنه العادة والعبادة والطاعة...وهو الجزاء، ...

وهو القهر والغلبة والاستعلاء... والتوحيد وما يُتعبد لله عز وجل به، والملّة والورع"[4]"، والدين بالفتح يعني الاقتراض ، فيقال فلان أدان فلانا أي أقرضه، ويقال مديان إذا كان من عادته أن يأخذ بالدين"[5]"، ويرى البعض أن الدين هو مجموعة من الطقوس والشعائر التي يمارسها الأفراد والجماعات على مختلف مشاربهم وأنماط حياتهم للوصول إلى غاية معينة وهي رضى الإله"[6]"، ويرى آخرون أنه "هو عبارة عن شعور الناس بوجود قوة أو قوى متعددة أعظم منهم شأنا وغير مُسخرة لهم"[7]"، لذلك وجب عليهم الطاعة والانقياد لتلك القوى طلبا لرضاها وتحاشيا لغضبها، وهو" الاعتقاد في وجود موجود أعلى والسلوك بناءً على هذا الاعتقاد""[8]"، وهو ما أطلقوا عليه اسم الخير والشر، ويعرّف فراس السواح الدين بأنه" تلك الأفعال الهادفة إلى استعطاف أو استمالة قوى متفوقة يعتقد الإنسان بقدرتها على التحكم بمسار الطبيعة والحياة الإنسانية""[9]"، والدين هنا في هذه الحال يمكن لنا ان نعرفه (بأنه هو تلك العلاقة الروحية بن العبد وما يراه علّة غائية يرجو ثوابها ويخاف عقابها)، فربما يكون هذا تعريفا شاملا للشعور الإنساني بشكل عام بعيدا عن الانحياز والانتماء، فيشمل الأديان السماوية وغيرها، حيث أننا نتحدث عن بدايات ظهور الإنسان التي سبقت ظهور الديانات السماوية المعروفة ، وبذلك نجد أن الدين هو عبارة عن ممارسات تدل على العلاقة بين طرفين يتمتع الأول بالقوة والغلبة، ويمثل الثاني جانب الخضوع والانقياد والطاعة، يقوم بتلك الممارسات الطرف الأضعف، حيث أن الطرف الأول له الأمر والنهي الذي يصل إلى حد الإكراه على الطاعة بالقوة"[10]".

نشأة الدين لدى اللوبيين القدماء:

نشأ الدين لدى الإنسان اللوبي القديم بسيطا في بداياته فهو عبارة عن معتقد يخص جماعة صغيرة من الناس ترتبط برباط الدم والموطن في غالب الأحيان، ثم تطور هذا المعتقد نتيجة اندماج عدد من الجماعات التي ربما أجبرتها ظروف الحياة المعيشية للاستقرار بالقرب من بعضها، ما أسهم في اندماج معتقداتها التي أصبحت تسمى دينا فيما بعد اشتركت في ممارسة طقوسه أكثر من جماعة"[11]".

شكلت المصلحة المادية أساسا لحياة الإنسان القديم، فكان لها الأثر الأكبر والمباشر في صناعة عقليته وطريقة تفكيره، فانعكست مصلحته المادية على أفكاره ومعتقداته، وحيث أن الطبيعة المحيطة به بمختلف مشتملاتها تمثل عصب حياته المعيشية فقد كانت السيطرة عليها هي محور

تفكيره للاستفادة منها ما أمكنه ذلك، وتجنب أخطارها قدر المستطاع، فكل ما عجز عن السيطرة عليه بيده حاول أن يسترضيها بطقوس معينة بهدف إرضائها والسيطرة عليه لضمان مستقبله"[12].

والإنسان اللوبي القديم كغيره من شعوب العالم القديم بعد إن عرف حياة الاستقرار أخذ يعمل على السيطرة على الطبيعة، ويسخرها لخدمة متطلباته الحياتية، معتقدا أن مظاهر وظواهر الطبيعة مليئة بالقوى الروحانية الخفية التي لا يدركها الإنسان"[13] ، ومن هنا واجهته العديد من الصعاب في تفسير تلك الظواهر ومن ثم تطويعها، خاصة وأنه اعتقد بأنها تحل بها أرواح ذات قدرات خارقة تظهر بظهورها وتختفي باختفائها، كالرعد والبرق والعواصف مثلا، وحيث أنها تمثل أساسا في حياته المادية، فقد حاول إيجاد طريقة للتعامل معها، ونتيجة لذلك نشأ لديه شعور بالخوف والرهبة من جهة، والطمع من جهة أخرى في اتقاء شرها والاستفادة منها، فبدأ يحاكيها من خلال بعض الممارسات التي اعتقد أنها ترضيها، وتقيه غضبها وشرورها"[14]، وبذلك نجد أن الدين جاء كخلاصة لعلاقات الإنسان بالطبيعة لدى اللوبيين القدماء.

ظاهرة التوحيد:

تنشأ العبادة مع الإنسان منذ ولادته على وجه الأرض، حيث يصاحبه إحساس بوجود قوى غير مُدركة لها تأثير في حياته "فمن الشائع بين العديد من الأقوام البدائية وجود إدراك لإله بعيد موجود في السماء أو في مكان ما بعيدا عنه، وهذا الإله هو الذي صنع كل شيء – الأرض والبحر والسماء والكائنات الحية – والذي يراقب عن بعد كل ما يجري على الأرض""[15]، ولكي يكون الإنسان أكثر قربا من هذا الإله، أو القوة الخفية غير المدركة كما يسميها البعض، فقد حاول إنسان العصور الحجرية من أصحاب الثقافات العثيرتة والقفصية أن يجعل من الأرض أماكن لالتقائه مع ذلك الإله، فحدد أماكن تصوّرَ بأن روح الإله تهبط من السماء لتحل بتلك الأماكن، وقد دلت على ذلك بعض الأماكن الأثرية المتمثلة في الأكوام الحجرية كالتي وُجدت في جنوب تونس، حيث حاول البعض تفسير وجود تلك الأكوام على أنها معابد تتخذ منها القوة المقدسة مكانا لنزولها على الأرض فيستطيع الإنسان التقرب منها واسترضائها بعد إن أدرك بأن هناك قوى خفية تتحكم في حياته وتسيّر شؤونها اليومية"[16]، ويؤكد ذلك محمد درّاز عندما يقول أن اللوبيون القدماء شأنهم شأن غيرهم من الشعوب القديمة كانوا يرون في الأشياء الملموسة أنها"

مجرد مهبط لقوى غيبية أو رمزا لسرٍ غامض يستوجب منهم التقديس"[17]"، وبذلك نجد أن معتقد التوحيد كان يصاحب العقيدة لدى اللوبيين القدماء، وإن كان بصورة غير جلية، إذ لم يكن يدرك الوحدانية بمعناها المتعارف عليه الآن، فقد كان يؤمن بأرواح تتجلى له، موطنها غير معروف وربما كان اعتقاده أنه في السماء، هذه الأرواح جعل محيطه البيئي مستقرا لها فأضفى عليه قدسية جعلت منه رمزا للعبادة، فقد كان المتدين يرى" أن الإله هو قوة عاقلة لها اتصالا بالناس تسمع نجواهم وشكواهم بآلامهم، وتكشف عنهم ما يدعونها إليه""[18]"، ونلاحظ ذلك في مظاهر الطبيعة وبعض الحيوانات وكذلك قبور الأسلاف الصالحين، وكل ما من شأنه أن يكون له تأثيرا مباشرا في حياته اليومية سلبا أو إيجابا، وسنتعرض لهذه المقدسات بشكل موجز لنرى علاقتها بالجانب العقدي لدى الإنسان اللوبي القديم.

مظاهر الطبيعة: -

احتلت الطبيعة المكانة الأولى في ذهن الإنسان اللوبي القديم لما تمثله له من أهمية خاصة ذات تأثير مباشر على حياته إيجابا أو سلبا، فكانت هي مصدر رزقه، وظواهرها تمثل مصدر خوفه واطمئنانه، ومن هنا بدأ يعمل على السيطرة عليها وتطويعها، فكانت الأمطار والعواصف والجبال والكهوف والشمس والقمر كلها ذات تأثير مباشر في حياته اليومية، فمنها ما ينال منه رزقه، ومنها ما يمنحه الطمأنينة والأمان، ومنها ما يسبب له الخوف والقلق، لذا كانت الطبيعة هي محل اهتمامه الأول وشغله الشاغل الذي أسهم مساهمة فعالة في تطور فكره الديني.

كان لتنوع مظاهر الطبيعة في منطقة المغرب القديم أثره البالغ في تنوع عبادات اللوبيين القدماء، فجاءت عباداتهم وطقوسهم مرتبطة ارتباطا مباشرا بتأثير تلك المظاهر والظواهر على حياتهم اليومية"[19]"، حيث كانوا يعتقدون بظهور القوى الخارقة في مظاهر الطبيعة وبذلك عبدوا تلك المظاهر"[20]"، فمنهم من عبد الكواكب، ومنهم من عبد الأشجار، والينابيع، والصخور، والأودية، والكهوف، والجبال، وحتى الحيوانات....الخ، وفي مراحل متأخرة نجد أن بعضهم قد انتشرت بينهم ما وُصف بأنه عبادة للأسلاف حسب ما تذكره المصادر التاريخية، وبذلك نلاحظ أنه استمر في تلك العبادة إلى مراحل متأخرة، ربما استمرت حتى غزته بعض الشعوب الوافدة، والتي تأثر بها تأثرا مباشرا نقلته إلى العبادة الوثنية، غير أن الملاحظ أنه كان ينظر إلى تلك المظاهر على أنها عبارة عن أماكن مقدسة أكثر منها آلهة، فقد كان لتقديس الكواكب المكانة الأبرز بين

المقدسات اللوبية القديمة، فكانت الشمس والقمر مركزا لعبادتهم كغيرهم من الشعوب القديمة لوقوعها في السماء حيث يصعب عليهم الوصول إليها من جهة ولتأثيرها المباشر على حياتهم اليومية من جهة أخرى، فكانت مبعثا للضوء اللازم لهم ولمزروعاتهم، وبذلك كانت هي الأقوى قدسية لدى كافة الشعوب القديمة بشكل عام، وذلك لما تتمتع به من علو شاهق لا يمكن إدراكه والوصول إليه، ولما لهذين الكوكبين من تأثير مباشر على الحياة اليومية، ولهذا تأثروا تأثرا مباشرا بهذين الكوكبين، فقد عبد أغلبهم الشمس والقمر وقدموا لهما الأضاحي، واعتبروهما القوتين الإلهيتين الأقوى والأعظم في جميع أنحاء لوبة"[21]، فنجد أن جُلّ اللوبيين يقدمون القرابين للشمس والقمر فقط دون غيرها من الآلهة الأخرى رغم تعدد الآلهة فقد ذكر هيرودوت "...وهم يقدمون القرابين للشمس والقمر فقط، والآن جميع الليبيين يقدمون الأضاحي لهذين[الشمس والقمر] بينما الذين يسكنون حول بحيرة تريتتوس يقدمون القرالبين لأثينا أولا ثم لتريتون، وبوسيدون"[22]، ومع ذلك نجد أن بعض القبائل اللوبية رغم قلتها لا تعبد الشمس، وربما كانت استثناءّ، لكنها تبين لنا مدى ارتباط عبادة أو تقديس اللوبيين مرتبط ارتباطا مباشرا بمصلحتهم المادية، فقد كانت إحدى هذه القبائل وتسمى الأترانتيس، تسكن على في عمق الصحراء الآن إلى الغرب من قبائل الجرمنت على ما يبدو يقول عنهم هيرودوت نفسه" ... ويلعن هؤلاء الشمس عندما تبلغ أوج حرارتها ويوجهون لها أقذع السباب لأنها عندما تسطع تحرقهم وتحرق أرضهم"[23]، ومع ذلك لا يُعد هذا انتقاصا مما كان يمثله هذين الكوكبين من أهمية في مقدسات اللوبيين القدماء، إذ نجد أن تقديسهم الذي وصل إلى حد العبادة في بعض الأحيان قد استمر حتى بعد وفود الحضارات الأخرى عليهم وتأثرهم بها، وبلوغهم من التقدم حد إنشاء ممالك لوبية مستقلة لها حضارتها وشخصيتها الوطنية، حيث نجد أن الملك اللوبي الشهير مسنسن يقدم الثناء والشكر لكوكب الشمس عندما قدم لزيارته القائد الروماني الشهير سيبيون حسب ما أورده الكاتب الروماني شيشرون، عندما يقول" أتوجه إليك أيتها الشمس العالية بالشكر، وإلى باقي آلهة السماء على ما وهبتني، قبل مغادرة الحياة الدنيا أتمنى أن أرى تحت سقفي في مملكتي كورنيليوس سيبيون"[24]، كما أننا نلاحظ أن كوكب الشمس قد صاحب الكثير من المقدسات الأخرى التي ظهرت في ديانة اللوبيين القدماء خاصة الحيوانية منها كالثور والكبش والأسد، وحتى الوثنية منها بعد تطور الفكر

الديني لديهم مما يدل على أهمية هذا الكوكب الذي ربما أعتبره اللوبي القديم أنه الأقرب إلى القوة غير المرئية التي تتحكم في حياته.

تطور تقديس الطبيعة مع تطور فكر الإنسان اللوبي القديم، ففي بادئ الأمر عبدها في حد ذاتها على ما يبدو عندما ارتبط تأثيرها المباشر بحياته اليومية كما أسلفنا، ثم لم يلبث أن بدأ يدرك أن هناك قوى غيبية هي أكبر شأنا من تلك المظاهر، فهي التي تضفي عليها الهالة والقدسية بعد ما آمن بحلول الأرواح فيها"[25]، وقد صاحب هذا الاعتقاد الإنسان المغاربي القديم منذ نشأة حضاراته القديمة، فقد "حاول الإنسان القفصي التقرب إلى القوى الخفية المتحطمة في حياته فصورها في أشكال حيوانية ونباتية تمنحه الأمان" "[26]، وعلى الرغم من أن معظم الباحثين يعتقدون أن كل مظهر من تلك المظاهر قد مثّل إلها مستقلا إلا أن تداخل وتكامل وظائف واختصاصات تلك الآلهة في تسيير حياة الإنسان وعدم تضاربها، وانسجامها ربما أوحى له بأن هناك قوة خفية تسيطر على تلك المظاهر وبذلك ترسل لها الأرواح لتحل فيها، وتكون قريبة من البشر لتقدم له الخدمات أحيانا، وربما لتنزل به العقوبة أحيانا أخرى إذا ما غضبت عليه تلك الآلهة، فبدأ يتجه إلى أعلى لأنه يعتقد أن مقر تلك الآلهة كان في السماء، فكانت الكواكب وأهمها الشمس والقمر على رأس تلك المقدسات لما لها من تأثير على حياته اليومية.

إلى جانب الكواكب ظهرت مقدسات طبيعية أخرى اعتبرها اللوبيون القدماء أماكن لحلول الأرواح الخارقة فقد كان إله المطر وإله العواصف والرياح وغيرها لم تكن منظورة لدى اللوبي القديم وإنما كانت عبارة عن قوي خفية تُنزل المطر وتمنعه وتثير الرياح والعواصف وهي تحل في الصخور أو ينابيع المياه، وربما في السحب، ولكنها غير منظورة، ومقرها في غالب الظن يكون في السماء.

إلى جانب كوكبي الشمس والقمر كانت هناك الجبال التي مثلت هي الأخرى أهم المقدسات التي عبدها اللوبيون القدماء أو التي قدسوها بالمعنى الأصح فقد كانت محل اهتمامهم، فربما كان لضخامتها وعلوها وعدم وصول الإنسان إلى قممها دوره في تقديسها"[27]، واعتبارها مسكنا للآلهة التي تنزل من السماء فيما بعد، فكانت جبال أطلس كما يذكر بليني محل تقديس من السكان وكانوا يُجلّونها حتى أنها تملأ قلوبهم الرهبة عندما يقتربون منها وربما لأن قممها مرتفعة فوق الغيوم ولا يستطيعون رؤيتها وهي تعانق القمر الإله الأعلى"[28]، وكانت سلسلة جبال أطلس يسميها الإغريق عربة الآلهة"[29]، وفي هذا إشارة إلى تقديس الجبال التي تعتبر أداة نقل الآلهة من

السماء إلى الأرض، وقد استمر هذا الاعتقاد حتى في العصور اللاحقة، إذ أقيمت المعابد للآلهة المجسدة على قمم الجبال ففي العصر القرطاجي مثلا نجد معابد مكرسة للإله آمون في أعالي الجبال، وقد اعتبر كثير من المؤرخين أن ذلك تأثير على الديانة الوافدة"[30]، ويعتبر وجود تلك المعابد على قمم الجبال حيث تُقام الشعائر الدينية دليلا قويا على أن الجبال كانت تمثل حلقة وصل مع إله أعظم مقره في السماء، حيث يكون المتعبد قريبا منه عند قمة الجبل، كما وُجدت رسوم صخرية في أعالي جبال أطلس ذات دلالات دينية موغلة في القدم يعود تاريخها إلى العصر البرونزي"[31]، وفي هذا دلالة واضحة على أن للجبال مكانة دينية متميزة لدى اللوبيين القدماء الذين كانوا يعتبرونها أعمدة للسماء موطن الآلهة"[32].

تعتبر الكهوف هي الأخرى من أهم الأماكن المقدسة لدى اللوبيين القدماء حتى عدّها الكثير من المؤرخين من بين المعبودات، واعتبروا أن عبادة الكهوف على رأس المعبودات اللوبية، غير أننا في الواقع علينا أن نفرق بين المعبود ومكان عبادته، أو ما نسميه (المعبد)، فالكهوف هي عبارة عن أماكن لاستقرار لأرواح الخفية التي يعتقد الانسان اللوبي انها تهبط إلى الأرض، وبالتالي فهي مجرد أماكن مقدسة، إذ يؤكد أكصيل أن العديد من الكهوف والمغارات التي توجد في الأراضي اللوبية كانت تمثل أماكن مقدسة مكرسة للعبادة"[33]، ربما يلتقي فيها المتعبد مع روح الإله الهابطة من السماء، كما أن الرسومات والصور التي وجدت داخل الكهوف وعلى أبوابها، وعلى رأسها رسومات الحيوانات المقدسة، أو التي تحكي عمليات الصيد التي كان يقوم بها انسان تلك العصور، توحي بأنه كان ربما يحاكي من خلالها تلك الأرواح ويطلب مساعدتها، خاصة أنها كانت مقتصرة على الكهنة ولا يُسمح لعامة الناس بالدخول إليها"[34].

من هنا ومن خلال ما تقدم ومن خلال عرضنا الموجز لتلك المظاهر الطبيعية وطريقة تعامل الإنسان اللوبي القديم معها نجده أقرب إلى تقديسها كأماكن تحل بها أرواح مقدسة تهبط إليها من السماء من التعامل معها كمعبودات في حد ذاتها.

عبادة الحيوان:

مثلت عملية تقديس الحيوان أو كما يسميها البعض عبادة الحيوان في الديانة اللوبية القديمة مظهرا مهما من مظاهرها، فقد احتلت مكانة مرموقة، حتى اعتبر كثير من المؤرخين أن بعض تلك الحيوانات آلهة عبدها الإنسان اللوبي القديم، غير أننا نلاحظ أن عملية التقديس هذه قد نالت

فيه على بعض الحيوانات المكانة الأبرز ذات الخصائص المميزة، رغم وجود العديد من الدلالات على تقديس بعض الحيوانات الأخرى وبعض الطيور وكذلك بعض الأحياء المائية كالأسماك وغيرها.

اعتقد اللوبي القديم كغيره من الشعوب البدائية بأن هناك قوى غيبية تظهر من حين إلى آخر في محيطه الأرضي وهي التي تتحكم في مصيره، فحاول تجسيدها في الأشياء الأكثر تأثيرا في حياته، فإلى جانب الطبيعة احتلت الحيوانات مكانا بارزا بين هذه المقدسات، فكان يدرك أن الحيوان محل التقديس إنما هو رمز لا أكثر ولا يمكن أن يكون إلها"[35]، وإنما هو مجرد محل لحلول روح الإله الذي ليس باستطاعته أن يراه، ويؤكد ذلك أن عملية التقديس هذه قد اقتصرت على حيوانات بعينها تمتعت بالقوة والعنفوان مما يدل على أنها اكتسبت هذه القوة من قوى غيبية لا يستطيع الإنسان إدراكها، كالأسد والكبش والثور فضلا عن أنها تتمتع بقوة الإخصاب التي تعتبر خصائص إلهية لدى الإنسان القديم ، وربما جاء هذا الاعتقاد نتيجة صراع الإنسان المرير مع هذه الحيوانات والتي عجز عن السيطرة عليها في كثير من الأحيان مما أوهمه بأنها ذات قوة غيبية تمدها بالقوة اللازمة لهزيمته"[36]، وهذا ما منح صفة القداسة لمثل هذه الحيوانات أكثر من غيرها حتى رأى البعض أنها هي المعبود الرئيس، وعلى الرغم من ظهور بعض الحيوانات الأخرى في المعتقدات للإنسان اللوبي القديم كالقردة مثلا، إلا أنها لم تكن من الأهمية بمكان، فقد أقتصر ظهورها لدي بعض القبائل فقط، ولم يكن تقديسها منتشرا في كامل منطقة المغرب القديم، ونتيجة لذلك فقد جاء تركيز اللوبي القديم على بعض الحيوانات التي تجلت فيها الخصائص الإلهية، كالخصوبة والقوة والعنفوان، مما أوحى له بأنها تتمتع بقدرات خارقة ربما استمدتها من قوة أعلى غير مُدركة فحاول التقرب من هذه القوى الخفية التي رأى إنها متحكمة في حياته والتي حلت بهذه الحيوانات بتقديسها لتمنحه الأمان في حياته، وتكف عنه شرورها"[37]، حيث يرى أن روح الإله غير المدرك تحل في هذا الحيوان ليكون قريبا من البشر فيستطيع الإنسان أن يستعطفه، ويقدم له شكواه ويتضرع له، إذ كان عقله لا يستسيغ أن يمارس عبادة وطقوس في الهواء لشيء غير مرئي، بذا حاول أن يجسد رمزا لهذا الإله في أشياء يراها ويتعامل معها، والدليل على ذلك إن الإنسان المغاربي بعد أن تطور فكره الديني، أصبح يجسد تلك الآلهة بمنحوتات وأصنام، وأصبحت تلك الحيوانات مجرد أضحيات عظيمة تقدم للإله الأعظم بديلا عن الأضحية البشرية.

جاء حيوان الكبش على رأس هذه الحيوانات فظهرت رسومات ونقوش عديدة له في كثير من المواقع الأثرية في منطقة المغرب القديم، حتى يكاد يُظن بأن لكل قبيلة كبشها الخاص"38"، إذ وُجدت في منطقة وهران والجنوب الجزائري وكذلك في جنوب المغرب ومنطقة فزان بالجنوب الليبي الآن، وقد ظهرت رسوم الكبش هذه يعلو رأسه قرص دائري اختلف المؤرخون في تفسيره، رغم ميول الكثيرين منهم إلى تفسيره على أنه قرص الشمس ، حيث أُعتبر الكبش معبودا شمسيا، وفي هذا إشارة إلى أن هذا الحيوان هو رمز لإله أكبر وليس معبودا في حد ذاته، ويرى البعض الآخر، أن تلك الدائرة لا تمثل قرص الشمس"39"، غير أن القائلين بهذا الرأي لم يستطيعوا حتى الآن إيجاد تفسير منطقي لهذا الشعار مما يجعلنا نؤيد أصحاب الرأي الأول خاصة في ظل النقش الذي عُثر عليه في منطقة فجة الخيل بالجزائر الذي يظهر فيه كبشا يحيط برقبته رباط وهو يتبع شخصا يرفع يديه إلى أعلى يبدو فيها أنه يتضرع إلى إله أعلى في السماء"40"، ما يوحي بأن الكبش كان يمثل قربانا لذلك الإله وليس معبودا في حد ذاته"41"، وربما كان اختيار الكبش كحيوان مقدس ومحلا للأرواح الإلهية لما يتمتع به من أهمية في المجتمع الرعوي.

إلى جانب الكبش يظهر الثور كحيوان مقدس هو الآخر لدى اللوبيين القدماء، حيث ظهرت له العديد من الرسومات في مناطق عدة من منطقة المغرب القديم كان في معظمها يحمل قرص الشمس بين قرنيه، فقد عُثر عليها في منطقة فزان وجبال تبستي والتاسيلي في ليبيا الحالية، وفي منطقة الهقار وبوعلاّم بالجزائر"42"، ويعتقد اللوبيون القدماء أن هذا الحيوان هو ابن الإله قورزل إله قبيلة لواته من بقرة، وكانوا يحملونه معهم إلى المعارك تيمنا به وتبركا لاعتقادهم بأنه سيحقق لهم النصر على أعدائهم ويحميهم من الهزيمة"43"، نظرا لما يتمتع به من قوة وعنفوان، لكنهم لم يعتقدوا في يوم من الأيام بأنه إله، فقد كان يمثل قربانا مهيبا للإله ساتورن"44".

ومن خلال ما تقدم نجد أن الإنسان اللوبي القديم قد نظر إلى الحيوانات التي كان لها تأثير مباشر في حياته نظرة إجلال وتقديس، وأعتبرها محلا للأرواح الإلهية التي لم يستطع أن يحدد مكانها، غير أنها تهبط من السماء، وبالتالي أضفت عليها نوعا من القدسية تفاعل معها اللوبي القديم، ورأى أنها وسيلة تواصله مع الإله الأعظم، حيث يرى الباحث العربي عقون أنه لا توجد آلهة حيوان في منطقة المغرب القديم لكنها توجد حيوانات مقدسة"45".

عبادة الأسلاف:

تحدثت الكثير من الكتابات التاريخية إن لم تكن جلها، خاصة تلك التي تناولت تاريخ المغرب القديم عن عبادة اللوبيين لأجدادهم القدماء وهي ما عُرفت بعبادة الأسلاف، مستندة على ما ورد في بعض المصادر التاريخية أمثال هيرودوت الذي أورد في كتابه الرابع أن قبائل النسامونيس من اللوبيين " يستطلعون الغيب بأن يذهبوا إلى قبور أسلافهم ويؤدون صلوات ثم ينامون، وما يشاهده المرء من أحلام في النوم يعده وحياً"[46]، ولكننا إذا ما تمعّنا القراءة لهذه الفقرة ، هل يُعد النوم على القبور عبادة أم أنه مجرد تبرك بأصحاب أولئك القبور؟ وأن أرواح الآلهة ربما تنزل إلى تلك القبور لصلاح أهلها ومنزلتهم عند الإله الأعظم فتكون مستقرا لروحه على الأرض، حيث نجد أن العبارة تبين أن ما يشاهده النائم هو وحيا ليس إلا، ولا تذكر لنا أن أصحاب تلك القبور هم من يصدرون الأوامر وبذلك هم يتلقون الأوامر الإلهية عن طريق أولئك الناس الصالحين ، خاصة وأننا في نفس الفقرة نجده يقول"يقسمون بوضع أيديهم على قبور أولئك الرجال الذين يُقال عنهم أنهم أعدل وأفضل من الآخرين"[47]، هنا يبين هيرودوت ويؤكد أن الصالحين هم من يختارهم الإله لتكون قبورهم مقرا لروحه على الأرض، وأن أولئك الصالحين عبارة عن حلقة وصل مع الإله، وليسوا هم الآلهة، كما في الديانات الوثنية التي كان أصحابها يتقربون إلى الله عن طريق الأصنام التي كانوا يعتقدون أنها حلقة وصل لا أكثر، لكنها في مرتبة أعلى من البشر وعبر عنها الشاعر بقوله:

...واللات والعزّى ومن دان دينها...وبالله إن الله من هنّ أكبر

من هنا يتضح لنا أن اللوبيين القدماء لم يكونوا في يوم من الأيام يعبدون أسلافهم ولا ملوكهم مثلما يروج له بعض الكتاب المحدثين فأصطفان جزيل نفسه يقول"أنه ليس لدينا دليل أو برهان يثبت على أن ملوك نوميديا أو موريطانيا يُعبدون في حياتهم"[48].

الجن:

لم يكن ما نعرفه اليوم باسم الجن معروفا بهذا الإسم قبل ظهور الديانات السماوية، وبذلك يعتبر مصطلح الجن هو تسمية حديثة أطلقها الكتاب المحدثين على ما كان يعتقده القدماء أرواحا إلهية يرسلها الإله الأعظم كرسل للبشر لقضاء حوائجهم، أو لتحذيرهم في حالة إغضابه، إذ لا نجد هذه التسمية لدى القدماء فهل كان الأقدمون يعرفون تلك الأرواح بنفس الاسم الذي

نسميها به اليوم(الجن) ويدركون مهامها بدقة؟، ويعرِّف فراس السواح الجن بأنه عبارة عن كائنات غير مرئية تسكن الأرض والجبال والكهوف والأشجار والأنهار وتتدخل في حياة البشر"[49]"، ويقول أصطفان أكصيل أنها" أرواح كثيرة ولا يُحصى عددها، لكنها مجهولة ولا جسمية، أو هي حبيسة في غلاف بالغ الدقة حتى أن الأعين البشرية لا تراه""[50]"، وإذا ما نظرنا إلى هذا المسمى إبان العصور القديمة أي قبل ظهور الأديان السماوية المعروفة، نجد أن الجن يمثل تلك الأرواح التي يعتقد الإنسان أنها أرواح لقوى غيبية مثلت لديه أرواح الآلهة، " لكنها بعد دخول الإسلام صارت تُعرف بالمصطلح القرآني الجن"[51]" فكانت تسكن العيون المائية والأنهار، وقمم الجبال، حيث يسود اعتقاد قديم أن قمم الجبال كانت مسكونة بأرواح نسميها اليوم بالجن وتكاد تكون محظورة على بني البشر"[52]"، كما أنها تسكن المغارات والكهوف وحتى الأحجار والينابيع والأشجار فليس للإنسان المغاربي القديم معرفة بما نسمه اليوم بالجن، فكان يؤمن بأرواح لقوى غيبية تحل في أجسام جامدة أو حية كالحيوانات مثلا لكنها اشد منها قوة وأكثر علما من الإنسان فتعلمهم العلوم النافعة وتهبهم الأدوية الشافية وتكشف لهم المستقبل وتهب الخصب للنساء"[53]"،وهذه الأفعال اختصاص أصيل من اختصاص الآلهة، وليس لغيرهم ممارستها، ومن هنا نجد إن ما يسمه الباحثون المحدثون جنا لا يعدو في نظر اللوبيين القدماء إلا أن يكون أرواحا إلهية يرسلها الإله الأكبر إلى الأرض للتواصل مع المخلوقات وقضاء حوائجهم.

السحر:

- يعترض الباحث الكثير من الصعاب عند البحث في هذا المجال، حيث يرتبط السحر ارتباطا وثيقا بالشعور الإنساني فهو أقرب إلى الإحساس منه إلى الفعل الملموس، وبذلك نجد أنه من الصعوبة بمكان وضع تعريفا محددا للسحر يكون شاملا ومواكبا لكل العصور، فالإعجاب سحر والمحاكاة سحر ، وصرف الأشياء عن حقيقتها سحر، ومحاولة إخضاع الطبيعة سحر، ومحاولة السيطرة على الآخرين سحر، كما أن مفهوم السحر يتغير من زمان إلى آخر، وفي المجمل العام ل يمكن لنا أن نعتبر أن السحر رغم التعريفات العديدة التي وردت في هذا الشأن، أنه صرف الشيء عن حقيقته"[54]"، غير أن هذه التعريفات ظهرت في أوقات متأخرة ، ربما بعد ظهور الديانات السماوية ، وظهور ما يُعرف بالسحر الأسود، الذي حاول فيه الإنسان التحكم في

الجن، وتسخير الطبيعة لخدمة أغراضه، والتلاعب بأقدار الناس، وصرف الأشياء عن حقيقتها، ولكننا هنا سنتحدث عن السحر المتعلق بالعبادة وعلاقته بالدين لدى انسان شمال إفريقيا القديم.

تتحدث الكثير من الكتابات الحديثة عن ظاهرة السحر في الديانات القديمة، واللوبيون ليسوا استثناءً من هذه الظاهرة التي كانت تلعب دورا مهما في الحياة الدينية قديما، ولا زالت تأخذ مكانها حتى الآن، ولكن السؤال الذي يحتاج إلى اجابة شفافة هو: هل عرف الأقدمون السحر بمفهومه الحالي؟ أم إنه مجرد إسقاط على أشياء غيبية تشابهت عبر العصور لكن مفاهيمها مختلفة؟.

للإجابة على هذا السؤال يتطلب الأمر الوقوف على مفهوم السحر بمعناه الدقيق وتتبع هذا المفهوم منذ ظهوره ومن ثم الانتقال إلى المراحل المتطورة التي أصبح فيها السحر يُمارس بطرق مختلفة عن نشأته في بادئ الأمر حتى أصبح يؤدي أغراضا اختلفت عن تلك التي كان يؤديها في بدايات ظهور الإنسان.

يختلف مفهوم السحر عند الإنسان القديم اختلافا كليا عن مفهومه الحالي، فعلى الرغم من ارتباطه المباشر في الحالتين بالدين، غير أننا نلاحظ أن ارتباطه في العصور القديمة كان ارتباطا إيجابيا، فقد كانت الطقوس التي يمارسها إنسان ذلك العصر والتي أطلق عليها المحدثون هذه التسمية وتم تصنيفها على أنها سحرا كانت عبارة عن محاولة لمحاكاة قوى غيبية واسترضائها للحصول على مبتغاه منها، فعندما تصور الإنسان البدائي عالما من الأرواح يجهل طبيعتها وغاياتها عمل على استرضائها واجتلابها في صفه لمعونته فبذلك أصبحت محاكاته لها أساسا من أسس شعائر العبادة البدائية"[55] لذلك نراه يضع صورة الشيء المراد الحصول على فائدته أمامه والقيام ببعض الحركات التي يريد الشخص أو الجماعة نيل نتائجها كتعبير للقوى الغيبية عن طلبه ومراده، كرسوم الصيد ومحاكاة الأرواح فيها"[56]، كما أنه كان يقوم ببعض الحركات أمام ما يعتقد بأنها أرواح الآلهة، ويُسمّى هذا السحر بالسحر التمثيلي، إذ يكسب به الإنسان معرفة الأرواح والآلهة، فكان يقوم بالأفعال التي يريد من الآلهة أن تؤديها له وكأنه بذلك يغويهم بتقليده"[57]، وهذا يعني أنه كان يخاطب تلك الأرواح ويتقرب إليها محاولا إفهامها ما كان يريده من خلال تلك الحركات والأفعال، ولم يكن يسعى لتغيير حقائق الأشياء مثلما أعتقد الباحثون المحدثون، بينما نجد أن السحر في مفهومه الحديث هو نظام من الأفعال القائمة على الاعتقاد بالفاعلية الفورية

والمباشرة للطرق والعناصر المستخدمة بهدف تحقيق النتائج المرجوّة، وهو محاولة الإنسان ترويض الطبيعة المحيطة به وإخضاعها لمشيئته وإرادته بواسطة أفعال وممارسات معينة"[58].

أما عن علاقة السحر بالدين فيعتقد كثير من الباحثين أن السحر قد سبق ظهور الدين في تاريخ الإنسان، ولكننا إذا ما نظرنا إلى الممارسات والطقوس التي كان يقوم بها الإنسان تجاه ما يعتقد أنها قوى خفية قادرة على السيطرة عليه، نجد أن العبادة قد سبقت تلك الطقوس، فعلى سبيل المثال كان اللوبيون القدماء يقومون برقصات وُصفت بأنها سحرية توحي بالتوسل والتضرع لقوى خفية يعتقد بأنها لها تأثيرها المباشر على حياته كطقوس استدرار المطر التي كان يقوم بها النسامونيز حيث كانوا يخرجون في جماعات للتعبير للآلهة عن حاجتهم للمطر وإظهار ضعفهم أمام تلك القوى(الآلهة)"[59]، فهل كانت تلك الممارسات سحرا؟، وبذلك فإن الدين سابق للسحر إذا أسمينا تلك الطقوس سحرا، ولكن الأرجح أن السحر قد سبق التدين، أي احتلال الدين المكانة الأسمى في فكر الإنسان، ويعتقد جيمس فريزر أن الإنسان أصبح يخشى الطبيعة بعد إن اكتشف أنه لا يمكنه السيطرة عليها، وأن هناك قدرات فائقة تتحكم فيها فتحول إلى عبادتها واستعطافها لينال رضاها وتساعده على قضاء حوائجه من خلال محاكاتها بطقوس معينة يراها البعض أنها نوعا من السحر"[60]، فالدين والسحر متصلان اتصالا وثيقا تجعل منهما وجهان لطقس واحد، فالطقوس التي يقوم بها الإنسان تأخذ الطابع الديني عندما تكون لإقناع الآلهة واسترضائها"[61]، فالطقوس تعطي الراحة والاطمئنان لممارسيها، حيث يعتقد الممارس أن لهذه الممارسة التأثير في المجال الذي مورست فيه، خاصة في جلب المنفعة ودرء الأخطار، ومن هنا نجد أن السحر لم يسبق الدين في ظهوره خاصة إذا ما اعتبرنا أن أول أشكال السحر هو ما عُرف بالسحر التمثيلي، غير أنه بعد أن أصبح الدين يلعب دورا فاعلا في حياة الإنسان حاول الإنسان تسخير الدين واستغلاله في السيطرة على الطبيعة من خلال استحداث طقوس من شأنها أن تخفي حقيقة الأشياء وتظهرها على غير طبيعتها من خلال التمويه والخداع، فظهر ما يُعرف بالسحر الأبيض وهو ما ينتفع به الإنسان دون ضرر الغير، والنوع الثاني وهو السحر الأسود وهو السحر الضار، وبذلك نجد أن بدايات هذه الطقوس كانت تعبدية، وأن ما دعاه جيمس فريزر في كتابه الغصن الذهبي سحرا "ما هو إلا شكلا أصيلا وأوليا من أشكال الدين سابقا على ظهور الشخصيات الإلهية في المعتقدات الدينية للإنسان"[62].

من هنا ومن خلال ما تقدم يتضح لنا إن الإنسان اللوبي القديم قد آمن بعلة غائية لم يكن يراها، واعتقد أنها هي من يسيطر عليه ويتحكم في مصيره، وحيث أنه لا يمكنه عبادة شيء لم يره أو أن هذا فوق مستوى تفكيره فقد لجأ إلى الأشياء الملموسة لتكون رمزا لهذه القوة الغائبة، فكانت الطبيعة بمظاهرها وظواهرها هي مكان التقديس، وهي المقر الذي يمكن له الالتقاء فيه بروح الإله الأعظم، واعتبر أن تلك الأجسام غير المرئية التي نسميها الآن بالجن ما هي إلا أرواح نزلت من السماء العليا لتقف على حياة البشر وعلى احتياجاتهم فحاول التعامل معها من خلال التعبير عن مطالبه، وحاول إرضائها حتى يأمن شرها وهو ما عرفناه بالسحر بعد نزول الديانات السماوية وتطور الفكر البشري، من هنا نجد أو نلمس بوضوح أن الديانة اللوبية القديمة كان بها شيئ من الاعتقاد بوجود قوة واحدة تتحكم في مصير البشر الذي نعتبره نحن الكون الآن، وأن المخلوقات الأرضية ماهي إلا لخدمة تلك القوة، وإن كنا لا نجزم تماما بإيمان اللوبيين القدماء بالوحدانية التامة.

الخاتمة

عاش اللوبيون القدماء كغيرهم من الشعوب القديمة حياة بدائية بسيطة لعبت فيها الطبيعة دورا مهما في تشكيل حياتهم المادية والفكرية، فمنذ ظهور الإنسان اللوبي القديم حاول التعامل مع الطبيعة وتسخيرها لخدمة أغراضه المادية، غير أنه واجهته العديد من المصاعب والألغاز التي لم يستطع إدراكها والسيطرة عليها مما جعله في حيرة دفعته إلى محاولة التعامل معها فكريا أو بمعنى أصح روحيا ليسخرها لخدمة أهدافه، فحاول إرضائها واتقاء غضبها من خلال ممارسة بعض الطقوس التي توحي بذلك، فأعتقد بأن هذه المظاهر هي محل لأرواح غير مدركة كان في أغلب ظنه أن مقرها السماء، فكانت المظاهر ذات الهيبة، كالشمس والقمر والجبال والأحجار وبعض الظواهر الطبيعية الأخرى كالرعد والبرق والعواصف، وكذلك بعض الحيوانات كالكبش والثور والأسد محل تقديس الإنسان اللوبي القديم معتقدا أنها كانت تحل بها قوى خارقة بعد ان اختارها الإله الأعظم كمقر لأرواحه من السماء، يضاف إلى ذلك قبور الأسلاف الصالحين وبعض الكهوف، كما أنه اعتقد أن هذه الأرواح كان يتعامل معها ولا يراها وهي ما أطلق عليه المحدثون اسم الجن، فقد حاول التعامل مع هذه المقدسات بطقوس هدف منها إرضائها واتقاء شرها وهو ما عُرف بالسحر.

هكذا اشتملت ديانة اللوبيين القدماء على الجانب التوحيدي في حقيقتها، واتخذت معالم الطبيعة ومظاهرها رموزا معبرة على ذلك التوحيد.

الهوامش:

[1] – رشيد الناضوري، المغرب الكبير (العصور القديمة)، دار النهضة العربية، بيروت 1981م ص126.

[2] – سعيد مراد، المدخل في تاريخ الأديان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د.ت، ص30.

[3] – خلفة عبدالرحمن، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007-2008م،ص18.

[4] – مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، راجعه: أنس محمد الشامي- زكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة، 2008م، ص582.

[5] – اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج3، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1979م، ص2117.

[6] – بوعلام سعيد، الآلهة الشرقية في مقاطعة نوميديا، أيزيس، ميترا، كيرس أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، 2013م، ص13.

[7] – سعدون محمد الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ج1، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2000م، ص21.

[8] – محمد كمال جعفر، الانسان والأديان" دراسة مقارنة"، دار الثقافة، الدوحة- قطر، 1985م،ص15

[9] – فراس السواح، دين الانسان" بحث في ماهية الدين والدافع الديني"، ط4، منشورات دار علاء الدين، دمشق،2002م، ص191.

[10] – محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس،1991م،ص13.

[11] – خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 1997م، ص37.

[12] – محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم- الملامح الحضارية والتطور الفكري لفترة ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2011م، ص350.

[13] –ابراهيم مفتاح شيرة، الآلهة الليبية والآلهة الفينيقية في ضوء المصادر الكلاسيكية (دراسة مقارنة)، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد الرابع، د.ت، جامعة مصراته، ص2.

[14] – عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، ليبيا، 2013م، ص255.

15 -فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان- الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول، ط4، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2017، ص35.

16 - رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج1المرجع السابق، ص105.

17 - محمد عبد الله درّاز، الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية،2012م، ص 41.

18 -المرجع نفسه.

19 - محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008، ص214.

20 - ضو سالم ضو بن رمضان، الديانة الليبة القديمة وتأثرها بالديانات الأخرى (من القرن الخامس ق.م حتى القرن الأول الميلادي)،رسالة مقدمة لنيل درجة الاجازة العالية(الماجستير) في التاريخ القديم، جامعة سرت، 2009م، ص9.

21 - المرجع نفسه، ص 178.

22 - هيرودوت، الكتاب الرابع، نقله عن الإغريقية، محمد المبروك الذويب، جامعة قاريونس، بنغازي2003م ف188.

23 - المصدر نفسه، ف184.

24 - قابريال كامبس، في أصول بلاد البربر — ماسينيسا- أو بدايات التاريخ، تعريب وتحقيق : العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009م، ص267.

25 - كحيل البشير، الحضور الديني البوني في نوميديا814ق.م-146ق.م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر2 أبوزريعة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2012م ، ص45.

26 -مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراة العلوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري- قسنطينة، العام الجامعي 2009/2010م،ص65.

27 - كحيل البشير، المرجع السابق، ص44.

28 -Pliny, V.II Book V-1-1-7.

29 - Idem,10-13.

30 - محمد العربي العقون، المرجع السابق، ص235.

31 - المرجع نفسه ، ص236.

32 – عمران عبد الحميد،الديانة المسيحية في المغرب القديم(النشأة والتطور180-430م)، أطروحة دكتوراة العلوم في التاريخ القديم،جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر 2010-2011م،ص20.

33 – المرجع نفسه، ص22.

34 –- محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة،2005م، ص66.

35 – غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ت: عبدالرحيم حزل، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014م،ص40.

36 – رشيد الناضوري، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني(جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1976،ص31.

37 – نادية يفصح، آلهة الخصب البونية النوميدية، لنيل شهادة ما جستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،2004،ص43.

38 – عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص31.

39 -أصطفان أكصيل، تاريخ شمال أفريقيا القديم،ج6، الممالك الأهلية،ت: محمد التازي سعود، الرباط،2007م،ص.ص114-115.

40 – عمران عبدالحميد، المرجع السابق،ص30.

41 – محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق،ص242.

42 – خلفة عبدالرحمن، المرجع السابق،ص77

43 – إبراهيم شيرة، المرجع السابق،ص4.

44 -، كامبس، البربر ذاكرة وهوية، المرجع السابق،ص248.

45 – محمد العربي عقون،الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق،ص241.

46 – هيرودوت، المصدر السابق، ف172.

47 – المصدر نفسه.

48 – أصطفان جزيل، المرجع السابق، ج6، الممالك الأهلية،ص118.

49 – فراس السواح، المرجع السابق، ص255.

50 – أصطفان أكصيل ، المرجع السابق،ج6، الممالك الأهلية،ص119.

51- Oric Bates, The Eastern Libyans an Essay , Frank Cass& Co .Ltd , New Impression, London , 1970 .177.

52 – غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ت: عبدالرحيم حزل، أفريقيا الشرق 2014م،ص242.

53 – اصطفان جزيل، المرجع السابق،ج6 الممالك الأهلية،ص219.

54 – خلفة عبد الرحمن ، المرجع السابق،ص38.

55 – ول ديورانت، قصة الحضارة "نشأة الحضارة"،ج1، تقديم:محي الدين صابر،ت: زكي نجيب محمد، بيروت1998م،ص.ص110-111.

56 – خلفة عبدالرحمن، المرجع السابق ص38.

57 – سعيد مراد، المرجع السابق،ص43.

58 – أسامة عدنان يحى، السحر والطب في الحضارات القديمة، آشور بانيبال للكتاب، بيت الكتاب السومري 2016م،ص100

59 – خلفة عبد الرحمن، المرجع السابق،ص48.

60 – فراس السواح، المرجع السابق،ص190.

61 – المرجع نفسه، ص26.

62 – فراس السواح، المرجع السابق، ص192.

المصادر والمراجع:

– هيرودوت، الكتاب الرابع، نقله عن الإغريقية، محمد المبروك الذويب، جامعة قاريونس، بنغازي2003م.

– Pliny, V.II Book V-1-1-7.-

– ابراهيم مفتاح شيرة، الآلهة الليبية والآلهة الفينيقية في ضوء المصادر الكلاسيكية(دراسة مقارنة)، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد الرابع،د.ت، جامعة مصراته.

– أسامة عدنان يحى، السحر والطب في الحضارات القديمة، آشور بانيبال للكتاب، بيت الكتاب السومري 2016م.

– اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج3، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1979م.

– أصطفان أكصيل، تاريخ شمال أفريقيا القديم،ج6، الممالك الأهلية،ت: محمد التازي سعود، الرباط،2007م.

– بوعلام سعيد، الآلهة الشرقية في مقاطعة نوميديا، أيزيس، ميترا، كيرس أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، 2013م.

– خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 1997م

– خلفة عبدالرحمن، الديانة الوثنية المغاربية القديمة(منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007-2008م.

– رشيد الناضوري، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني(جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1976.

– رشيد الناضوري، المغرب الكبير(العصور القديمة)، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.
– سعدون محمد الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ج1، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2000م.
– سعيد مراد، المدخل في تاريخ الأديان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،د.ت.
– – ضو سالم ضو بن رمضان، الديانة الليبة القديمة و تأثرها بالديانات الأخرى(من القرن الخامس ق.م حتى القرن الأول الميلادي)،رسالة مقدمة لنيل درجة الاجازة العالية(الماجستير) في التاريخ القديم، جامعة سرت، 2009م.
– عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، ليبيا، 2013م.
– عمران عبد الحميد،الديانة المسيحية في المغرب القديم(النشأة والتطور180–430م)، أطروحة دكتوراة العلوم في التاريخ القديم،جامعة منتوري– قسنطينة، الجزائر 2010–2011م.
– غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر — ماسينيسا– أو بدايات التاريخ، تعريب وتحقيق : العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009م.

– غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ت: عبدالرحيم حزل، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014م.
– فراس السواح، دين الانسان" بحث في ماهية الدين والدافع الديني"، ط4، منشورات دار علاء الدين، دمشق،2002م.
– فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان– الشعوب البدائية والعصر الحجري، الكتاب الأول،ط4، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2017.
– كحيل البشير، الحضور الديني البوني في نوميديا814ق.م–146ق.م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر2 أبوزريعة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2012م.
– محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس،1991م.
– محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة،2005م.
– محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم– الملامح الحضارية والتطور الفكري لفترة ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم،ج1، دار الهدى،عين مليلة، الجزائر 2011م.
– محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008.
– محمد عبد الله درّاز، الدين(بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية،2012م.
– محمد كمال جعفر،الانسان والأديان" دراسة مقارنة"، دار الثقافة، الدوحة– قطر، 1985م.

- مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، راجعه: أنس محمد الشامي- زكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة، 2008م.
- مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم(من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراة العلوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري- قسنطينة، العام الجامعي 2010/2009م.
- نادية يفصح، آلهة الخصب البونية النوميدية، لنيل شهادة ما جستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،2004.
- ول ديورانت، قصة الحضارة "نشأة الحضارة"،ج1، تقديم:محي الدين صابر،ت: زكي نجيب محمد، بيروت1998م.
- Oric Bates, The Eastern Libyans an Essay , Frank Cass& Co .Ltd , New Impression, London , 1970 .177.